﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾ [الأعراف: 150]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

حالةُ مُوسى عندَ مُشاهَدتِهِ عبادةَ قومِهِ العِجْلَ، وغضبُه من هارونَ أخِيه

لمّا كانَ السِّياقُ في سَردِ رجوعِ مُوسى عليه السلام إلى قومِه، وإنكارِه عليهِم، وذكرِ إسراعِهم في الفِسقِ؛ لم يذكُرْ قَبولَ تَوبتِهم، كما في سورة البقرة؛ ولأنّ مِنَ المعلُومِ أنّهم تبيَّنَ لهُم عَن قُربٍ سُوءُ مُرتَكَبِهم؛ لكونِ نبيِّهِم فيهِم عبَّرَ بما كانَ مِن ذَلِكَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رَجَعَ﴾: الرَّاءُ وَالجِيمُ وَالعَينُ أَصلٌ كَبِيرٌ مُطَّرِدٌ مُنقَاسٌ، يَدُلُّ عَلَى رَدٍّ وَتَكرَارٍ. ورَجَعَ بمعنى عَادَ[2]. والرُّجوعُ: العَودُ إلى ما كانَ منه البَدءُ، أو تقديرُ البدءِ مَكانًا كانَ أو فِعلًا، أو قَولًا، وبذاتِهِ كانَ رُجُوعُهُ، أو بجُزءٍ من أجزائِهِ، أو بفعلٍ من أفعالِهِ[3]. وكلُّ ما في القرآنِ مِنَ اللّفظِ فهو بمعنى الرُّجُوعِ والعَوْدِ مع اختلافِ الصّورِ أحيانًا[4]. ومنهُ اللّفظةُ في الآيةِ الكريمةِ.

2) ﴿غَضۡبَٰنَ﴾: الغَينُ والضَّادُ والبَاءُ أَصلٌ صَحِيحٌ يدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ. يُقَالُ: إِنَّ الغَضْبَةَ: الصَّخرَةُ الصُّلبَةُ. قَالُوا: ومِنهُ اشتُقَّ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/114.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رجع).
(3) الرّاغب، المفردات: (رجع).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رجع).

الغَضَبُ؛ لأَنَّهُ اشتِدَادُ السُّخطِ[1]. وثَوَرانُ دَمِ القلبِ إرادةَ الانتِقامِ، وغليانُهُ بسببِ حُصولِ ما يؤلِمُ[2]، فهو انفِعالٌ ينشأُ عنهُ كراهيةُ المغضُوبِ عليه، وإبعادُه، وإضرارُه[3]. وامتلاءُ النَّفسِ بالحِدَّةِ والجَفاءِ له، وكلُّ ما في القرآنِ مِنَ التَّركيبِ؛ فهو مِنَ الغَضَبِ بهذا المعنى[4]. ومنهُ مَحمودٌ ومَذمُومٌ، فالمَحمُودُ ما كانَ في جانبِ الدِّينِ والحَقِّ، والمَذمُومُ ما كانَ في خلافِهِ[5]. ومِنَ الأوّلِ صنيعُ مُوسى عليه السلام.

3) ﴿أَسِفًا﴾: الأَسَفُ: أشدُّ الحزنِ، وأشدُّ الغضبِ والتَّغيُّظِ، أو هو مَنزِلَةٌ وراءَ الغضبِ[6]؛ لكونِهِ حُزنًا في حالٍ، وغَضَبًا في حالٍ، فإذا جاءَكَ أمرٌ مِمَّنْ هو دونَكَ؛ فأنت أَسِفٌ، أي: غضبان، وإذا جاءَكَ ممّن فوقَكَ، أو مِن مثلِكَ؛ فأنتَ أَسِفٌ، أي: حزينٌ[7]. فالأسفُ: الحُزنُ والغَضبُ معًا، وقد يُقالُ لكلِّ واحدٍ منهما على الانفرادِ[8]. ومعنى الأسفِ في الآيةِ الكريمةِ تراتَبَ فيه الغضبُ الشَّديدُ والحُزنُ[9].

4) ﴿أَعَجِلْتُمْ﴾: العَينُ والجيمُ واللَّامُ أَصلانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُما على الإسرَاعِ، وهو العَجَلَةُ في الأَمرِ[10]، وهي: طلبُ الشَّيءِ وتحرّيه قبلَ أوانِهِ، وهو مِن مُقتضَى الشَّهوةِ، فلذَلِكَ صارَت مَذمومةً في عامّةِ القرآنِ، ووَرَدَ في الحديثِ: «العَجَلةُ مِنَ الشّيطانِ»[11]؛ وهي: السُّرعةُ خِلَافُ البُطءِ[12]، والسَّبقُ إلى تحصيلِ الشّيءِ قبلَ وقتِهِ[13]. ومعنى اللّفظةِ في الآيةِ الكريمةِ: أَسَبَقتُم أمرَ ربِّكُم[14].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غضب).
(2) الرّاغب، المفردات: (غضب)، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/392.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/210.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (غضب).
(5) ابن الأثير، النّهاية: (غضب).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 13/120، والجوهريّ، الصّحاح: (أسف).
(7) الخليل، العين: (أسف).
(8) الرّاغب، المفردات: (أسف).
(9) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/456.
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عجل).
(11) الترمذي، السنن، الحديث رقم: (2012)، والبيهقيّ، السّنن الكبرى، الحديث رقم: (20270)؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، برقم: (12652)، وقال: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.
(12) ابن منظور، لسان العرب: (عجل).
(13) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عجل).
(14) زاده، حاشية محيي الدّين شيخ زاده: 4/300.

5) ﴿يَجُرُّهُۥ﴾: الجيمُ والرَّاءُ أَصلٌ وَاحِدٌ، وهوَ مَدُّ الشَّيءِ وَسَحبُهُ. يُقَالُ: جَرَرتُ الحَبلَ وَغَيرَهُ[1]، والجَرُّ: الجَذبُ، وانجَرَّ الشَّيءُ: انجَذَبَ[2]. والمعنى المحوريُّ له: سَحبُ الجرمِ المُتجمِّعِ باسترسالٍ وامتدادٍ. ومعنى ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾ في الآيةِ الكريمةِ: يسحبُهُ خلفَهُ[3].

6) ﴿تُشۡمِتۡ﴾: الشِّينُ والميمُ والتَّاءُ أَصلٌ صَحِيحٌ، من شَمِتَ يَشمَتُ، والشَّماتةُ: وهي فَرحُ العدُوِّ ببَلِيَّةٍ تَنزِلُ بمُعاديه[4]، وسُرُورُ النّفسِ بما يُصيبُ غيرَها مِنَ الأضرارِ، وإنّما تَحصُلُ مِنَ العداوةِ والحَسَدِ[5]. وشماتةُ الأعداءِ: فَرَحُهم ببليّةٍ تُصيبُ أعداءَهُم، وبمَكروهٍ يُصيبُهُم مع سلامتِهم هُمْ مِن تلكَ البَلِيَّةِ، فهوَ إحساسٌ بالقوّةِ خفيٌّ لإصابةِ الأعداءِ مع سلامتِهم هُم[6]. وهو معنى قول هارونَ لأخيهِ مُوسى عليه السلام: ﴿فَلَا تُشۡمِتۡ﴾، أي: لا تجعلْهُم يُسَرُّونَ بصنيعِكَ معي.

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

رُجــوعُ مُـوسَى غـاضبًـا أسِـفًـا، وتقريعُه لهارونَ لـعـدمِ تَـصـدِّيه للضّلالِ بحزْمٍ

لمّا رَجَعَ مُوسى مِنَ الطُّورِ إلى قومِهِ غضبانَ على أخيهِ هارون؛ إذ رأى أنَّه ضَعُفَ في سياستِهِ لَهم، ولم يكُنْ ذا عزيمةٍ في خلافتِهِ فيهِم، حزينًا على ما وَقَعَ مِن قومِهِ مِن كفرِ الشّركِ، وإغضابِ اللّهِ ﷻ، وقد أخبرَهُ اللّهُ أنّهُ قد فَتَنَ قومَهُ، وأنّ السّامريَّ قد أضلَّهُم، قالَ لَهم: بئسَ خلافة خلَفْتُمُونيها مِن بعد ذَهابي عنكُم إلى مناجاةِ اللّهِ تعالى، من بعدِ ما كانَ مِن شأني معَكُم أنْ لقَّنْتُكم التَّوحيدَ، وكَفَفْتُكم عنِ الشِّركِ، وبيّنتُ لكم فسَادَهُ وبطلانَهُ، وسُوءَ عاقبةِ أمرِهِ، حين رأيتُم القومَ الّذينَ يَعكفونَ على أصنامٍ لهم، فكانَ الواجبُ عليكم أنْ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جرّ).
(2) ابن سيده، المحكم: (جرّ)، وابن منظور، لسان العرب: (جرر).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جرر).
(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (شمت).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/117 - 118.
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل، ومجموعة باحثين، المعجم الوسيط: (شمت).

تخلُفُوني باقتِفاءِ سِيرتي، ولكنَّكُم خَلفتُموني بضدِّها؛ إذ صنعتُم لكم صنمًا كأصنامِ أولئكَ، أعجِلتُم أَمْرَ ربِّكُم؟ أي: استعجلتُم مَجيئي إليكُم، وهُوَ مُقدَّرٌ مِنَ اللّهِ تعالى؟ وألقى مُوسى ألواحَ التّوراةِ غضبًا على قومِهِ الّذين عَبَدُوا العِجلَ، وغضبًا على أخيهِ هارونَ، وأمسكَ برأسِ أخيهِ يجرُّهُ إليهِ، قالَ هارونُ مُستعطِفًا: يابنَ أمِّي: إنَّ القومَ استذلُّوني، وعدُّوني ضعيفًا، وقاربُوا أن يقتلُوني، فلا تَسُرَّ الأعداءَ بما تفعلُ بي، ولا تجعلْني في غضبِكَ مع القومِ الّذين خَالَفوا أمرَكَ، وعبدُوا العجلَ[1].

وتُرشِدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ الخطأَ في الاجتهادِ مع وُضُوحِ الأدلّةِ غيرُ مَعذُورٍ فيهِ صاحِبُهُ في إجراءِ الأحكامِ عليهِ، وهُوَ ما يُسَمِّيهِ الفُقهاءُ بالتّأويلِ البَعيدِ، فلا يُظَنُّ بأنَّ مُوسى عَاقَبَ هارُونَ قبلَ تحقُّقِ التَّقصيرِ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

وَجْهُ الإخبارِ عنِ الرّجوعِ بالأسلُوبِ المُبينِ:

الغضبُ والأسفُ مُقْترنان بالرُّجوعِ

جُعِلَ رُجُوعُ مُوسى ﷺ إلى قَومِهِ غَضبانَ كالأمرِ الّذي وقَعَ الإخبارُ عنه مِن قَبلُ على الأسلوبِ المُبيَّنِ في قولِهِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: 143]، وقولِهِ: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الأعراف: 149]. فَرُجُوعُ مُوسى مَعلُومٌ مِن تَحَقُّقِ انقضاءِ المُدّةِ المَوعُودِ بها، وكَونُهُ رَجَعَ في حالةِ غَضَبٍ مُشعِرٌ بأنّ اللّهَ أوحَى إليهِ، فأعلَمَهُ بما صَنَعَ قومُهُ في مَغِيبِهِ، وقد صرَّحَ بذلكَ في سورةِ طه: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه: 85]، فـ﴿غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾ حالان مِن مُوسى، فهما قَيدانِ لـ﴿رَجَعَ﴾، فَعُلِمَ أنَّ الغضبَ والأسفَ مُقارِنانِ لِلرُّجُوعِ[3].

(1) محمد رضا، تفسير المنار: 9/178، ونُخْبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميّسر، ص: 169.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/116.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/113.

بَلاغةُ التَّعْبيرِ بصِيغةِ المُبالَغةِ:

صيغة (غضبان) مِن صفاتِ المُبالَغةِ[1]، ويدُلُّ هذا البِناءُ على الحدوثِ والامتلاءِ بالوصفِ إلى الحدِّ الأقصى، وحرارةِ الباطنِ؛ لأنَّ الغضبَ حرارةٌ تكونُ في جوفِهِ، وعلى مُبالَغةٍ في كثرةِ الشّيءِ مع عدمِ الدَّوامِ، وبُطءِ الزَّوالِ، فالغضبانُ هو المُمتلِئُ غَضَبًا، مع حرارةِ جوفِهِ واندفاع كأنَّ في جوفِهِ مِرجَلًا يؤزُّهُ، ولِذلكَ لمّا وَصَفَ هدوءَ غضبِهِ؛ قال: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ [الأعراف: 154] كأنَّ الغضبَ كان له أزيزٌ، ويصيحُ بمُوسى ويهيِّجُهُ ويُلْهِبُهُ[2].

بيانُ الحُدوثِ والامتلاءِ، بالوَصْفِ إلى الحدِّ الأقصى

عِلّةُ المُبالَغةِ في ﴿غَضْبَىٰنَ﴾:

نقلَ ابنُ القيّم عنِ السّهيليّ: أنَّ غضبانَ مِن أبنيةِ المُبالغةِ، وإنّما دخَلَهُ معنى المُبالغةِ من حيث كانَ في آخرِهِ ألفٌ ونونٌ كالتّثنيةِ، فإنّ التّثنيةَ في الحَقيقةِ تَضعيفٌ، فكذلكَ هذه الصِّفة، فكأنَّ غضبانَ حاملٌ لِضعفَين مِنَ الغضبِ، فكانَ اللّفظُ مُضارِعًا للفظِ التّثنيةِ؛ لأنّ التّثنيةَ ضِعفانِ في الحَقيقةِ[3].

شِدّةُ الغضبِ، تدلُّ على حدّةِ طبْعِ موسَى، وسُرعةِ انْفعالِه

دَلالةُ صِيغةِ المبالغةِ ﴿أَسِفًا﴾:

والأَسِفُ بدونِ مَدٍّ صيغةُ مُبالَغةٍ لِلآسِفِ بِالمَدِّ الّذي هو اسمُ فاعلٍ للّذي حلَّ بِهِ الأَسَفُ، وهو الحُزنُ الشَّديدُ؛ أي: رَجَعَ غضبانَ مِن عِصيانِ قومِهِ، حَزينًا على فَسادِ أحوالِهم، ممّا يدُلُّ على أنَّ الحُزنَ قد اشتدَّ عليه، وتمكَّنَ منهُ[4]. وتدُلُّ الصِّيغةُ على أنّه كَثُرَ منهُ الفعلُ مَصحوبًا بهيجانٍ، وخفّةٍ، واندفاعٍ، وشدَّةٍ حتّى صارَ لهُ الفعلُ كالعادةِ، مع كونِ مَعناهُ عارِضًا للذّاتِ غير راسِخٍ ولا مُستقرٍّ فيها[5].

حُزنُ موسَى عليه السلام لضياعِ مَعالمِ الدِّينِ، والانْسلاخِ من هَدْيِه المُبِينِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/392.
(2) السّامرائي، معاني الأبنية، ص: 89 - 94.
(3) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 1/23.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/114، والشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4364.
(5) السّامرائي، معاني الأبنية، ص: 81 - 82 - 117.

عِلّةُ تقديمِ الغضَبِ على الأسَفِ:

ما اقترفَهُ قومُ مُـوسَى مِـن صُـدودٍ، كـانَ مُوغلًا في الكُفرِ بلا حدودٍ

قُدِّمَ الغضبُ؛ لأنّهُ رَسُولٌ له منهجُهُ، ولا يكفي في مثلِ هذا الأمرِ الحُزن فقط، بل لابدَّ أن يكونَ هناك الغضبُ نتيجةَ هياجِ الجَوارحِ[1]. وهياجُ الجَوارحِ ما لا يملكُ زمامَهُ المرءُ ولذلك يَسبِقُ، وذِكرُ صفةِ الغضبِ مُقدَّمةً أنسبُ لِمَقامِ الغَيرةِ على الدِّينِ، ومَسِّ وحدانيّةِ اللّهِ تعالى، ولزومِ عبادتِهِ مِن غيرِ شريكٍ، فهي أدعى إلى ردَّةِ الفعلِ المُناسبةِ؛ لجَسامةِ الحدثِ مِنَ الحُزنِ.

دَلالةُ التَّعبيرِ بفعلِ الذَّمِّ ﴿بِئْسَمَا﴾:

ذَمَّهُمُ اللهُ لخيانةِ نَبيِّهم في الاستِخلافِ، ومـا وقـعَ مع هـارونَ من خلافٍ

و﴿بِئْسَمَا﴾ فِعلُ ذمٍّ ضِدُّ نِعمَّا، وقولُهُ: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى﴾ اعتراضٌ ناشئٌ عن قولِهِ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ [الأعراف: 142][2]. والفاعلُ مُضمَرٌ يُفسِّرُهُ قولُهُ: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى﴾، والمَخصوصُ بالذّمِّ مَحذوفٌ تقديرُهُ: بئسَ خِلافةٌ خَلَفتُمُونِيها مِن بَعدِي خِلافَتكم[3]، و(مَا) نَكِرَةٌ مَوصُوفَةٌ مُفسِّرَةٌ لفاعلِ (بئسَ) المُستَكِنِّ فيه[4]. والذَّمُّ فيما إذا كانَ الخِطابُ لهارونَ عليه السلام ومَن معَهُ مِنَ المُؤمنينَ، ليسَ للخلافَةِ نفسِها، بل لِعَدَمِ الجَريِ على مُقتَضاها، وأمَّا إذا كانَ للسّامريِّ وأشياعِهِ؛ فالأمرُ ظاهرٌ ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: أعَجِلتُم عمّا أمَرَكُم بِهِ رَبُّكم، وهو: انتِظارُ مُوسى عليه السلام حالَ كونِهِم حَافِظِينَ لِعهدِهِ، وما وصَّاهُم بِهِ، فَبَنَيتُم الأمرَ على أنَّ الميعادَ قَد بَلَغَ آخِرَهُ، ولَم أرجِعْ إليكُم، فَحَدَّثتُم أنفسَكُم بِمَوتِي، فَغَيَّرتُم[5].

اسْتِعمالُ فعْلِ الاسْتِخلافِ بينَ الحَقيقةِ والمَجازِ:

المَـعْـنِـيّـونَ بالـخـطـابِ هُـم هـارونُ وسَـراةُ الـقَـومِ، أو هُـم القومُ قاطبةً

وهذا خطابٌ لِهارونَ ووجوهِ القومِ؛ لأنّهم خلفاءُ مُوسى عليه السلام في قومِهِم، فيكون قولُهُ: ﴿خَلَفْتُمُونِى﴾ مُستعمَلًا في حقيقتِهِ، كما يُنبِئُ

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4363.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/611: 9/114.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/161.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/35.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 9/66.

عنه قولُهُ تعالى: ﴿قَالَ يَهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۝٩٣﴾ [طه: 92 - 93]. ويجوزُ أن يعمَّ الخِطابُ جميعَ القوم، فيكونُ التّوبيخُ عامًّا، وفيه تعَرُّضٌ خاصٌّ بهارونَ عليه السلام؛ لأنّهُ جعلَهُ خليفتَهُ فيهم كما تَقدَّمَ، فلم يُحسنِ الخِلافةَ بسياسةِ الأُمّةِ كما كانَ يَسُوسُها مُوسى، وأمّا القومُ؛ فَلأنّهُم عَبَدُوا العِجلَ بعدَ غَيبةِ مُوسى، ومِن لَوازمِ الخِلافةِ فِعلُ ما كانَ يَفعلُهُ المخلوفُ عنه، فهُم لَمّا تَركُوا ما كانَ يَفعَلُهُ مُوسى مِن عبادةِ اللّهِ، وصارُوا إلى عِبادةِ العِجلِ، فقد انحَرَفُوا عن سيرتِهِ، فَلَم يَخلُفُوهُ في سِيرتِهِ، وإطلاقُ الخلافةِ على هذا المَعنى مَجازٌ، فَيكونُ فِعلُ ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾ مُستَعمَلًا في حقيقتِهِ ومَجازِهِ[1].

بَلاغةُ الإطنابِ في قولِهِ: ﴿مِنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾:

تصويرُ فظاعةِ التّزييفِ، وشُؤْمِ الـتّحـريـفِ، في المُستخلَفِين من قومِ موسَى

زيادةُ ﴿مِنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ عَقِبَ ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾ إطنابٌ بزيادةِ الجارِّ والمجرورِ؛ للتّذكيرِ بالبَونِ الشّاسعِ بينَ حالِ الخَلَفِ وحالِ المَخلُوفِ عنهُ؛ تصويرًا لِفَظاعةِ ما خَلَفُوهُ بهِ؛ أي: بعدَ ما سَمِعتُم مِنِّي التَّحذيرَ مِنَ الإشراكِ وزَجرِكُم عن تقليدِ المُشركينَ حينَ قُلتُم: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف: 138]، فَيَكونُ قَيدُ ﴿مِنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ للكشفِ، وتَصويرِ الحالةِ، والتّأكيدِ مِن بابِ: (رأيتُه بعيني)؛ وفائدتُهُ: تصويرُ نيابةِ المُستخلَفِ ومزاولةِ سيرتِهِ، وسلوكِ هديِهِ، كما أنَّ هنالكَ تصويرًا للرّؤيةِ، وما يتّصِلُ بها، وهو كقولِهِ تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النّحل: 26]، ومَعلومٌ أنّ السَّقفَ لا يكونُ إلّا مِن فوقٍ، ولكنّهُ ذُكِرَ لتصويرِ حالةِ الخرورِ وتَهويلِها[2].

الإطنابُ رَفعٌ لِتَوهُّمِ أنّ فعلَهُم قد يكونُ بحُضورِهِ:

غيابُ الرّسولِ المُوحَى إليه، لا يُسَوِّغُ التّصرّفَ بما يخالِفُ المَنهجَ الإلهيَّ

ولَمّا كانَ هذا رُبَّما أَوهَمَ أنّهُم فَعَلُوا ما فَعَلُوهُ مِن اتِّخاذِ لِلعِجلِ مِن

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/274، والقونويّ، حاشيَته على تفسير البيضاوي: 8/507 - 508، ومحمد رضا، تفسير المنار: 9/179، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/114.

(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/586، والآلوسي، روح المعاني: 9/66، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/114، والمستغانميّ، تصريف القول، ص: 62.

ورائِهِ وهو حاضرٌ، قال: ﴿مِنۢ بَعۡدِيٓ﴾؛ أي: مِن بعدِ مُضيي[1]. وفي الإطناب إشارةٌ إلى أنَّ قيادةَ مُوسى ﷺ لَهُم وهو بينَهُم قد كانَت هي السَّببَ في ضبطِهِم عنِ الانحرافِ والتّغييرِ في الدِّينِ، وهذا يدُلُّ على أنّهُم لَم يَصِلوا بعدُ إلى مُستوى تركِهِم لأنفسِهِم يُقيمونَ دينَ اللّهِ، فالإيمانُ الحَقُّ لَمَّا يَدخُلْ في قلوبِهِم، إنّما هُمْ كقطيعٍ يَتبعُ راعيًا ضابِطًا حازِمًا قَويًّا يَرهَبُونَهُ.

دَلالةُ الاسْتِفهامِ:

لا يخلُو الاستفهامُ للأقوامِ من إنكارٍ وتَوبيخٍ وتسْفيهٍ

لمّا كانَ موسى ﷺ قد أمرَهُمُ بألّا يُحدِثُوا بعدَهُ حَدَثًا حتّى يَعُودَ إليهم؛ أنكَرَ عَلَيهِم عَدَمَ انتِظارِهِ بقولِهِ: ﴿أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ﴾[2]، فالاستفهامُ هنا للإنكارِ أصالةً، وتتولَّدُ عنه مَعانٍ أُخرى يَستدعيها المَقامُ كالتَّوبيخِ، والتَّقريعِ، والتَّسفيهِ[3].

نُكتةُ التَّعْبيرِ بفعْلِ التّعْجيلِ على طريقِ التّضْمينِ:

يَتضمَّنُ السَّبقُ معنَى التّغْيِيرِ، بما يُفيدُه التّعْبِيرُ

أصلُ العبارةِ: (أعجلتُم عن أمرِ ربِّكُم) إلّا أنّه أسقطَ الخافضَ، وعدَّى الفعلَ بنفسِهِ على سبيلِ الاتّساعِ، وتضمينِ الفعلِ مَعنى ما يتعدَّى بنفسِهِ. كأنّه قِيلَ: أسبقتُم أمرَ ربِّكُم غير مُتمِّي إيّاهُ بأنْ فَعلتُم ما بَدَا لَكُم[4]؛ والمعنى: أعجلتُم عن أمرِ ربِّكُم، وهو انتِظارُ مُوسى حَافِظينَ لعهدِهِ وما وصَّاكُم بِهِ، فَبَنَيتُم الأمرَ على أنَّ المِيعادَ قد بَلَغَ آخِرَهُ، ولم أرجِعْ إليكُم، فحدَّثتُم أنفسَكُم بِمَوتي، فَغَيَّرْتُم، كما غيّرت الأمم بعدَ أنبيائِهِم[5].

بَلاغةُ الكِنايةِ، فيما تضمَّنَه السّبْقُ من معنَى التَّركِ:

قد يكونُ معنَى العَجَلِ التّركَ على الحقيقةِ، من غيرِ لُجوءٍ إلى التّضْمينِ

ومعنى: عَجِلَ عنِ الأمرِ؛ إذا تركَهُ غَيرَ تامٍّ، ونَقيضُهُ تمَّ عَليهِ،

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/114.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/114.
(3) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/408.
(4) زاده، حاشية محي الدّين شيخ زاده: 4/300.
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/161.

وأعجَلَهُ عنهُ غَيرُهُ. وضمَّنُوهُ هُنا مَعنى السّبقِ، وهوَ كِنايةٌ عَنِ التَّركِ، فَتَعَدَّى تَعدِيَتَهُ، ولَم يُضمَّنِ ابتِداءً مَعنى التَّركِ؛ لِخفاءِ المُناسبةِ بينَهُما وعَدَمِ حُسنِها، وقِيلَ: إنّ السَّبقَ مَعنًى حقيقيٌّ لهُ مِن غيرِ تَضمينٍ[1].

بَلاغةُ الاسْتِعارةِ في وجْهِ التَّعْبيرِ عن تعجِيلِهِمُ الأمرَ:

تشبيهُ الهَرَعِ إلَى أَسبَابِ الغَضَبِ وَالسُّخطِ، بِسَبْقِ السَّابقِ المَسبُوقَ

"الأمرُ يكونُ بمعنى التّكليفِ، وهوَ ما أمرَهُمُ اللّهُ بهِ مِنَ المُحافظةِ على الشّريعةِ، وانتظارِ رُجوعِهِ، فَلَم يُتمُّوا ذَلِكَ، واستَعجَلُوا، فَبَدَّلُوا وغَيَّرُوا، ويَجوزُ أن يكونَ بمعنى سَبَقَ؛ أي: بادَرْتُم، فَيَكونُ الأمرُ بمعنى الشّأنِ؛ أي: الغضبِ والسُّخطِ، كقولِهِ: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النّحل: 1]، وقولِهِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: 40]، فَالأمرُ هُوَ الوَعِيدُ، فَإنَّ اللّهَ حَذَّرَهُم مِن عِبَادَةِ الأَصنَامِ، وتَوَعَّدَهُم، فَكَانَ الظَّنُّ بِهِم إنْ وَقَعَ مِنهُم ذَلِكَ أَن يَقَعَ بعدَ طُولِ المُدَّةِ، فَلَمَّا فَعَلُوا ما نُهُوا عَنهُ بِحدثَانِ عَهدِ النَّهيِ؛ جُعِلُوا سَابِقِينَ لَهُ عَلَى طَرِيقَةِ الاستِعارةِ: شُبِّهُوا في مُبَادَرَتِهِم إلى أَسبَابِ الغَضَبِ وَالسُّخطِ بِسَبقِ السَّابقِ المَسبُوقَ، وهذا هو المَعنَى الأَوضَحُ، ويُوَضِّحُهُ قَولُهُ، في نَظِيرِ هَذِهِ القِصَّةِ في سورةِ طه، حِكايةً عَن مُوسَى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ٨٦﴾ [طه: 86]"[2].

بَلاغةُ العُدولِ مِنَ التَّعريفِ بـ(أل) إلى التَّعريفِ بالإضافةِ:

بالتّمادِي استحقَّ قومُ موسَى التّشنيعَ على جُحودِهِم

في إضافةِ ﴿أَمۡرَ﴾ إلى ﴿رَبِّكُمۡۖ﴾، مُضافًا إلى (الكاف)، ضميرِ المُخاطَبينَ زيادةُ تَشنيعٍ، وتقريعٍ عليهم بالجحودِ، وكفرِ النِّعمةِ مع كفرِهِم بالمُنعِمِ بها[3].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/66.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/115.
(3) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/409.

سِرُّ العُدولِ إلى اسْتِعمالِ فعْلِ الإلقاءِ ﴿وَأَلْقَى﴾:

في الإلقاءِ معنَى الطَّرْحِ، حيث تُرَى وتُؤْخَذُ، وهو أنسبُ في السّياقِ

واستُعمِلَ فعلُ الإلقاءِ مع الألواحِ دونَ غيرِهِ مِنَ الأفعالِ كالرَّمي، والطَّرحِ، والنَّبذِ وغيرِها؛ لأنّ الإلقاءَ أنْ تطْرحَ الشَّيءَ حيثُ تراهُ، وتلقَاهُ، لتأْخُذَهُ[1]، وهو أنسَبُ لتمسُّكِهِ بها، والدَّليلُ: أنَّهُ عندما سكتَ عنهُ الغضبُ عادَ لِيأخذَها، فضلًا عمّا فيهِ مِن دلالةِ شدّةِ غضبِ مُوسى ﷺ مِن ارتدادِ قومِهِ، وبَلادَةِ طبعِهِم[2].

عَلّةُ التَّعْبيرِ بإلقاءِ الألواحِ:

إظْهارُ الغضَبِ أثَرٌ مِن آثارِ فَوَرانِهِ وانْفِعالِهِ العاصِفِ

وإلقاؤُهُ الألواحَ يُؤذِنُ بأنَّه لمّا نَزَلَ مِنَ المُناجاةِ؛ كانَتِ الألواحُ في يدِهِ، ثمّ إنَّ إلقاءَهُ إيّاها إنّما كانَ إظهارًا لِلغَضبِ، أو أثرًا مِن آثارِ فَوَرَانِ الغَضبِ لَمّا شاهَدَهُم على تلكَ الحَالةِ، ومَا ذَكَرَ القرآنُ ذَلكَ الإلقاءَ إلّا لِلدّلالةِ على هذا المعنى؛ إذ ليسَ فيهِ مِن فَوائِدِ العِبرَةِ في القِصّةِ إلّا ذَلِكَ، فلا يَستَقيمُ قَولُ مَن فَسَّرَها بأنَّ الإلقاءَ لأجلِ إشغالِ يدِهِ بجرِّ رأسِ أخيهِ؛ لأنّ ذِكرَ ذَلِكَ لا جُرُورَ فيهِ، ولأنّهُ لو كانَ كَذَلِكَ؛ لَعُطِفَ ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ بالفاءِ[3].

نُكتةُ تَنْزيلِ الإلقاءِ مَنزِلَةَ الإلقاءِ الاختياريِّ:

إلقاءُ الألواحِ تَشنيعٌ لصَنيعِ قومِهِ، وليس تأديبًا لَهُم

قِيلَ: إنّهُ ﷺ لِفَرطِ حميَّتِهِ الدِّينيّةِ وشدّةِ غضبِهِ للّهِ تعالى لَم يَتَمَالَكْ، ولَم يَتَمَاسَكْ أنْ وقَعَتِ الألواحُ مِن يدِهِ بدونِ اختيارٍ، فَنُزِّلَ ذَلِكَ مَنزِلَةَ الإلقاءِ الاختياريِّ، فَعُبِّرَ بِهِ تَغليظًا [4]ﷺ. وقد رُوِيَ أنَّ مُوسى ﷺ كانَ في خُلُقِهِ ضِيقٌ، وكانَ شديدًا عندَ الغضبِ؛ ولِفظاعةِ الفعلِ الّذي شاهدَهُ مِن قومِهِ، ألقى الألواحَ تَفظيعًا لِفعلِ قومِهِ، وتشنيعًا عليهم، وليسَ تَأديبًا لَهُم؛ لأنّهُ لا يكونُ تَأديبُهُم بإلقاءِ ألواحٍ

(1) الرّاغب، المفردات: (لقي).
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/409.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/115.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 9/67.

كُتِبَ فيها مَا يُصلِحُهُم، ولأنّ ذَلِكَ لا يُناسِبُ تَصَرُّفَ النُّبوَّةِ[1]، وفيه إشارةٌ إلى شدّةِ غَيرتِهِ مِنَ الشّركِ بربِّ العالَمينَ وفَرطِ حميَّتِهِ على الدِّينِ، وليسَ في ذلِكَ ما يُتَوَهَّمُ منهُ نوعُ إهانةٍ لكتابِ اللّهِ تعالى بِوجهٍ مِنَ الوجوهِ[2].

بَلاغةُ التَّعْبيرِ بالمَجازِ المُرسَلِ عن أخْذِ الرّأسِ:

وأخْذُهُ بِرأسِ أخيهِ هارونَ يجُرُّهُ إليهِ؛ أي: إمساكُهُ بشعرِ رأسِهِ، وهو مَجازٌ مُرسَلٌ علاقتُهُ الكلّيّةُ، حيث أطلَقَ الكلَّ وهو الرّأسُ، وأرادَ الجزءَ وهو شعرُ الرّأسِ، وذلك يُؤلِمُهُ، فذَلِكَ تَأنيبٌ لِهارُونَ على عَدَمِ أخذِهِ بالشِّدَّةِ عَلى عَبَدَةِ العِجلِ، واقتِصارِهِ على تَغييرِ ذلك عليهم بالقَولِ، وذَلِكَ دَليلٌ على أنّهُ غَيرُ مَعذُورٍ في اجتهادِهِ الّذي أفصَحَ عنهُ بقولِهِ: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه: 94][3].

تأنيبُ هارُونَ على عَدَمِ صرامَتِهِ مع عَبَدَةِ العِجلِ المُفسِدين

بَلاغةُ التّعْبيرِ بالكِنايةِ عنِ اشْتِدادِ غضَبِهِ:

فقد رسمَت عبارةُ: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ صورةً حيّةً لآثارِ غضبِ مُوسى عليه السلام، وجسَّدَت تشديدَ قبضتِهِ على أخيهِ هارونَ عليه السلام، وهو يسحبُهُ على الأرضِ، وهارون يَسترحمُهُ، ويَستعطفُهُ[4].

رَسْمُ صُورةِ الغَضَبِ والانْفِعالِ، بأوضحِ لفظٍ، وأفصحِ مَقالٍ

سِرُّ الاسْتِعارةِ التّبعيّةِ في الفعْلِ ﴿وَأَخَذَ﴾:

في ﴿وَأَخَذَ﴾ استعارةٌ تبعيّةٌ؛ حيث شبّهَ الإمساكَ بالأخذِ، وسرُّها أنّ المُمسِكَ بشيءٍ قد يبقيهِ في مكانِهِ، أمَّا الآخذُ بِهِ؛ فقَد يزيلُهُ عن مكانِهِ، وهو الّذي حَدَثَ هنا، فقد أمسكَ مُوسى برأسِ أخيهِ سَاحِبًا له على الأرضِ، وبهذا تَظهَرُ بلاغةُ الاستعارةِ على المعنى الحَقيقيِّ لو قِيلَ: (وأمسكَ برأسِ أخيهِ). "وقد يُظنُّ أنَّ المَقامَ مُستَغنٍ عنِ الفعلِ ﴿وَأَخَذَ﴾؛ لأنَّ النّقلَ مِن مكانٍ إلى مكانٍ مَفهومٌ مِنَ الفعلِ ﴿يَجُرُّهُۥٓ

الأخذ الإزالةُ عنِ المكانِ، ومُؤدّاهُ التّعْبيرُ عنِ السّحْبِ بطريقَيْنِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/115.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 9/67.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/116.
(4) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/409.

﴿إِلَيۡهِۚ﴾، فالجوابُ: لو لم يُستَعَرْ ﴿وَأَخَذَ﴾ للإمساكِ؛ لَكانَ السَّحبُ مَدلولًا عليه بـ﴿يَجُرُّهُۥ﴾ مرّةً واحدةً، ولكنْ لمّا استُعِيرَ ﴿وَأَخَذَ﴾ لأَمسكَ؛ صارَ السَّحبُ مَدلولًا عليهِ بطريقين، وهذا أبلغُ ممّا لو دُلَّ عليهِ بطريقٍ واحدةٍ"[1].

سِرُّ العُدولِ بلفْظِ الأُخوَّةِ عن لفْظِ العَلَمِيّةِ:

في إيثارِ الصّفةِ ﴿أَخِيهِ﴾ على العلميّةِ (هارون) إظهارٌ لقوّةِ الغضبِ وشدّتِهِ الّتي سيطرَت على موسى ﷺ؛ غَيْرَةً على الدِّينِ حتّى كادَ يَبْطشُ بـ﴿أَخِيهِ﴾، والأخوةُ تقتضي الرّأفةَ والرِّفقَ. ولو قِيلَ: (هارون) بدلَ ﴿أَخِيهِ﴾؛ لَفاتَ هذا المعنى[2]. كما أنَّ التّعبيرَ بلفظِ الأخوةِ يقتضي قيامَ هارونَ ﷺ بحقِّ الاستخلافِ حقَّ القيامِ؛ لكونِهِ أخًا شقيقًا لمُوسى، ووزيرًا وردءًا مُناصِرًا يشدُّ أزرَهُ، وقائمًا مَقامَهُ في غيبتِهِ.

في لفظِ الأُخوَّةِ اقتضاءٌ لِلرّأفةِ، وهو ما يَقتضِي قيامَ هارونَ بواجبِهِ كاملًا

نُكتَةُ التَّعْبيرِ بالفعلِ المضارعِ:

في ﴿يَجُرُّهُۥ إِلَيۡهِۚ﴾ إيثارٌ لصيغةِ المضارعِ على الماضي تصويرًا للمَشهَدِ، وكأنّهُ يَحدثُ الآنَ، ويَتجدَّدُ، ولإفادةِ طولِ (الجرِّ)، وحدوثِهِ مُكرَّرًا مرّةً بعدَ مرّةٍ. ولو قِيلَ: (فجرّه)؛ لأُفهِمَ أنّ الجرَّ حَدَثَ مرَّةً واحدةً[3].

إفادةُ طُولِ الجرِّ، وتَكرارِ حُدوثِهِ، لغلبةِ الغضَبِ الّذي يُشبهُ الإغلاقَ

بَلاغةُ الفصْلِ في سِياقِ الآيةِ الكريمةِ:

فُصِلَت جملةُ ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ﴾؛ لِوقوعِها جوابًا لحوارٍ مُقدَّرٍ دلَّ عليه قولُهُ: ﴿وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾؛ لأنّ الشّأنَ أنّ ذَلِكَ لا يقعُ إلّا مع كلامِ تَوبيخٍ، وهُوَ ما حُكِيَ في سورةِ طه بقولِهِ: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ﴾ [طه: 92 - 93] على عَادةِ القرآنِ في

الآيةُ اسْترفاقٌ مِن هارونَ ﷺ، واسترحامٌ لأخِيهِ الضّائلِ عليه

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/409.
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/409.
(3) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/409.

توزيعِ القِصَّةِ، واقتِصَارًا على مَوقِعِ العِبرَةِ؛ لِيُخالِفَ أُسلُوبُ قَصَصِهِ الّذي قُصِدَ مِنهُ المَوعِظَةُ أساليبَ القَصّاصِينَ الّذين يَقصِدُونَ الخَبَرَ بكلِّ ما حَدَثَ[1]. وفي قولِ هارونَ عليه السلام: ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ﴾ استِلطافٌ لِلخطابِ، واسترحامٌ، وطَلَبٌ لِلرّفقِ، يريدُ بهذا أنّه قد تَوالَتِ المِحنُ عليهِ، فطَلَبَ أنْ يذرهُ وما هُوَ فيه، ولا يَزِدْ في بلائِهِ، ولسانُ حالِهِ عليه السلام: قد خلفتُكَ فيهِم، فلَم يَستنصحوني، وتلك عليَّ شديدةٌ، ولَقيتُ في عتابي وجرِّ رأسي، وكنتُ أودُّ منكَ تَسلِيتي وتعزِيَتي؛ فَرِفقًا بي، ولا تُشمِتْ بي الأعداءَ، ولا تُضاعِفْ عليَّ البلاءَ[2].

سِرُّ حذْفِ حرفِ النّداءِ والياءِ في: ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ﴾:

في الحذْفِ إظهارٌ لِخَوْفِ هارونَ عليه السلام وارتباكِهِ

خُفِّفَ بحذفِ أداةِ النّداءِ وياءِ الإضافةِ[3]؛ لِمَا يَقتَضِيهِ الحالُ مِنَ الإيجازِ[4]. فـ﴿ٱبۡنَ أُمَّ﴾ مُنادى بحذفِ حرفِ النّداءِ، والنّداءُ بهذا الوصفِ للتّرقيقِ والاستِشفاعِ، وحُذِفَ حرفُ النّداءِ لإظهارِ ما صاحَبَ هَارونُ مِنَ الرُّعبِ والاضطرابِ، أو لأنّ كلامَهُ هذا وَقَعَ بعدَ كلامٍ سَبَقَهُ فيه حرفُ النّداءِ، وهو المَحكيُّ في سورة [طه: 94] أنْ ﴿يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي﴾[5].

سِرُّ الحذفِ في ﴿أُمَّ﴾:

إضافةُ (ابْنَ أُمَّ)، وجهُ إيجازٍ يُعزِّزُ مَذهَبَ التَّعجُّلِ في الكلامِ

قَرَأَ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ وخَلَفٌ وأبو بكرٍ عن عاصم ﴿ٱبۡنَ أُمَّ﴾ بكسرِ الميم[6]، وفي (طه) مِثلُهُ على تقديرِ: أُمِّي، فَحَذَفَ ياءَ الإضافةِ؛ لأنّ مَبنَى النّداءِ على الحَذفِ، وبَقِيَ الكَسرُ على الميمِ لِيدُلَّ على الإضافةِ، كقولِهِ: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧﴾ [الزّمر: 17]. وقَرَأَ البَاقونَ بفتحِ الميمِ في السُّورتَين، وفيه قَولانِ: أحَدُهُما: أنّهُما جُعِلا اسمًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/116.
(2) القشيريّ، لطائف الإشارات: 1/573.
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 5/188.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/115.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/116.
(6) ابن الجزريّ، النّشر: 2/307.

واحدًا، وبُنِي لكثرةِ مُصاحبةِ هَذَين الحَرفَين، فَصارَ بمَنزِلَةِ اسمٍ وَاحدٍ، نَحوَ: حَضرَمَوتَ، وخَمسَةَ عَشَرَ. وثانيهما: أنّهُ على حَذفِ الألفِ المُبدَلَةِ مِن ياءِ الإضافةِ، وأصلُهُ: يا ابنَ أُمَّا[1]. والحذفُ في كلتا القراءتَين ترسيخٌ لشدّةِ انفعال هارونَ ﷺ، وفي الإضافةِ وجهُ إيجازٍ يُعزِّزُ مَذهَبَ الاضطرابِ والتَّعجُّل في الكلامِ.

سِرُّ العُدولِ إلى التَّعْبيرِ بإضافةِ بدَلِ العَلَميّةِ:

آصرةُ قرابةِ الأمِّ قويَّةٌ، والتَّذكيرُ بها له تأثيرٌ في حالتَي الغضبِ والرِّضَا

إنَّ مُوسى ﷺ لمّا أَخَذَ برأسِ أخيهِ يجرُّهُ إليهِ؛ استلطفَهُ هَارونُ في الخطابِ، قالَ: يا ﴿ٱبۡنَ أُمَّ﴾، واختيارُ التَّعريفِ بالإضافةِ لِتضمُّنِ المُضافِ إليهِ مَعنى التَّذكيرِ بصلةِ الرَّحمِ؛ لأنّ إخوَةَ الأمِّ أشدُّ أواصِرِ القَرَابَةِ؛ لاشتراكِ الأخَوينِ في الإلْفِ مِن وقتِ الصِّبا والرَّضاعِ، فذكَرَ الأمَّ هنا لِلاسترفاقِ والاسترحامِ[2].

دَلالةُ ذكْرِ لفْظِ (الأمّ):

إبـــرازُ إيـمـانِ الأمِّ، ومُعاناتِها وتذكيرُهُ بحقِّها

وفيهِ إشارةٌ إلى أنّهما مِن بَطنٍ وَاحدٍ، وفي ذلك استلطافٌ برحمِ الأمِّ؛ إذ هَو ألصَقُ القَرابَاتِ، وذلك أعظمُ للحقِّ الوَاجبِ، فضلًا عنِ العطفِ والرّقّةِ؛ ولأنَّ الأمَّ كانَت مُؤمِنةً فاعتدَّ بنسبِها، ولأنّها هي الّتي قاسَت فيهِ المَخاوفَ والشّدائدَ، فذكَّرَهُ بحقِّها[3].

سِرُّ التّكامُلِ بين حِدّةِ موسَى، ورِقّةِ هارونَ ﷺ:

طـبْـعُ هـــارونَ ﷺ، أن يَلْهجَ بعباراتِ الرَّحمَةِ

إنَّ هَارونَ ﷺ كانَت آثارُ الجَمالِ والرَّحمَةِ فيهِ ظاهرَة، كما يُنبِئُ عنهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ٥٣﴾ [مريم: 53]، وكانَ مَوردُهُ ومَصدرُهُ ذلك؛ ولذا كانَ يَلهَجُ بِذكرِ ما يدُلُّ على الرَّحمَةِ، ألَا تَرى كيفَ تلطَّفَ بالقومِ لمّا قَدِمُوا على ما قَدِمُوا، فقالَ: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [طه: 90] ومِن هُنا ذَكَرَ الأمَّ،

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 15/11.
(2) القشيريّ، لطائف الإشارات: 1/573، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/117.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/161، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/457.

ونَسَبَ إليها؛ لأنّ الرَّحمَةَ فيها أتَمُّ، ولَولَاها ما قَدَرَت على تَربيةِ الوَلَدِ وتَحَمُّلِ المَشاقِّ فيها[1].

سِرُّ العُدولِ مِن عِبارةِ (ابن أب) إلى عبارةِ: ﴿ٱبۡنَ أُمَّ﴾:

ففي أُخوَّة الأُمّ حنانٌ ظاهرٌ، يَقِلُّ بين الأُخوَّة لأب

طُوِيَ ذكرُ أبي مُوسى وهارونَ ﷺ، ولم يَظهرْ عنه أيُّ خبرٍ، والعلمُ جاءَنا عن أمِّه؛ لأنّها هي الّتي قابلَتِ المَشقّاتِ في أمرِ حياتِه، لذلكَ جاءَ لنا بالقدرِ المُشتركِ البارزِ في حياتِهما، ولأنّ الأمومةَ مُستقرُّ الأرحامِ؛ ولأنّ في أخوَةِ الأمِّ حنانًا ظاهرًا، ويَقلُّ الحنانُ بينَ الأخوةِ مِنَ الأبِ. وجاءَ الحَقُّ هنا بالقَدرِ المُشتركِ بينهما، وهو أخوةُ الأمِّ، وله وُجودٌ مُستحضَرٌ في تاريخِهم، أمّا الأبُ؛ فلا يُعرَفُ عنه شيءٌ، وكلُّ الآياتِ الّتي جاءَت عن مُوسى مُتعلِّقةٌ بأمِّه، لذلك نجدُهُ يُكلِّمُهُ بالأسلوبِ الّذي يُحنِّنُهُ[2].

عِلّةُ تأكيدِ الخبرِ بـ﴿إِنَّ﴾:

تأكيدُ الخَبَرِ بـ﴿إِنَّ﴾ وإيرادُ الجملةِ الاسميّةِ؛ لتَحقيقِهِ لَدَى مُوسَى [3]ﷺ. وفيه إزالةٌ لِمَا عساهُ أن يكونَ قد عَلِقَ بمشاعرِ مُوسى ﷺ مِن تواطُؤِ أخيهِ مع قومِهِ، أو تراخيهِ في زجرِهِم والإنكارِ عليهِم.

تأكيدُ تحقُّقِ الخبرِ بوصْفِهِ مُحتمَلًا للتَّردُّدِ

سِرُّ تعْبيرِ هارونَ بـ﴿ٱلۡقَوۡمَ﴾:

وفيه أنّ سببَ تعبيرِ هارونَ بقولِ: ﴿ٱلۡقَوۡمَ﴾، في قولِه تعالى: ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ﴾، ولم يقُلْ: (قومي) في ردِّهِ على مُوسى، يدُلُّ على بُعدِ المسافةِ والبراءةِ الّتي يَشعرُ بها هارونُ مِن قومِهِ الّذين ارتكبُوا الشِّركَ والضَّلالةَ، ولا يريدُ أن ينسبَ نفسَهُ إلى هؤلاءِ المُفسدينَ، كما يدُلُّ على التّحذيرِ والتّخويفِ الّذي يريدُ أن يبيّنَهُ لأخيهِ مُوسى مِن خطورةِ حالِ قومِهِ، وأنّهُ لم يَستَطعْ أن يصلحَهُم، أو يثبّتَهُم على

الإشارةُ إلى البراءةِ الّتي يَشعرُ بها هارونُ مِن قومِهِ الّذين ارتكبُوا الشِّركَ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/68.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/394، والشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4364 - 4365.
(3) القونويّ، حاشيَته على تفسير البيضاوي: 8/509، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/117.

دينِ الحقِّ. أمّا التّعبيرُ بـ(قومي)؛ فيدُلُّ على المَودَّةِ والانتسابِ لهم الّتي لا تتناسبُ مع حالِ هَارونَ في ذلكَ المَوقِفِ، فإنّهُ لا يودُّ أن يكونَ مِن قومٍ ضلُّوا عن سبيلِ اللّهِ، ولا يحبُّ أن يُظهِرَ لأخيهِ مَحبّةً لهؤلاءِ المُشركين.

كما أنَّ استخدامَ هَارونَ للفظِ (القوم) يُوافِقُ السِّياقَ القرآنيَّ الّذي يَصِفُ حالَ قومِ مُوسى بعدَ عبادةِ العِجلِ بالاسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، حيثُ قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢﴾ [الأعراف: 152]، فهنا نرى أنَّ اللّه تعالى ينسِبُ عبادةَ العِجلِ إلى قومِ مُوسى، بعبارةِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ المُوحيةِ بالوصفِ غيرِ المُحبَّبِ، ويَعِدُهم بالغضبِ والذِّلّةِ في الدّنيا، ويصفُهم بأنّهم مُفتَرينَ على اللّه، فالتّعبيرُ بـ (القوم) يَتناسَبُ مع هذا المعنى، ويُعبِّرُ عن حالةِ بُعدِ المسافةِ والبراءةِ الّتي يَشعرُ بها هارونُ مِن قومِهِ.

فائِدةُ تقديمِ فعلِ الاستِضعافِ على إرادةِ القتْلِ:

الاستِضعافُ مُقدِّمةٌ لسلبِ الإرادةِ في الدِّفاعِ عنِ النّفسِ

في قولِهِ: ﴿ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي﴾، قَدَّمَ الاستضعافَ على إرادةِ القتلِ؛ لأنَّ الاستضعافَ مُقدِّمةٌ لسلبِ الإرادةِ في الدِّفاعِ عنِ النّفسِ، فضلًا عن كونِها مِن تقديمِ الأسبابِ على مُسبِّباتِها[1].

نُكتَةُ الزّيادةِ في ﴿ٱسۡتَضۡعَفُونِي﴾:

تمالُؤُ على عبادةِ العِجلِ باستِضعافِ هَارونَ، قِلّةُ مُروءةٍ

السّينُ والتّاءُ في ﴿ٱسۡتَضۡعَفُونِي﴾ للجعل وللحُسبانِ؛ أي: جعلُوني، وحَسِبُوني ضَعيفًا لا نَاصرَ لي، واعتقدوا ذلك؛ لأنّهم تَمالؤوا على عبادةِ العِجلِ، ولم يُخالِفْهم إلّا هارونُ في شِرذِمَةٍ قَليلَةٍ، فالاستفعالُ هنا بمعنى الإفعالِ[2].

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/410.

(2) القونويّ، حاشيَته على تفسير البيضاوي: 8/509، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/117.

سِرُّ التَّعْبيرِ بالفعْلِ (كاد):

وقولُهُ: ﴿وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾ يدُلُّ على مُعارَضَةِ هَارونَ لهم مُعارَضَةً شَديدَةً، وأنّه لم يألُ جهدًا في كفِّهم بالوعظِ والإنذارِ، وبما بلغَتهُ طاقتُهُ البشريّةُ من بذلِ القُوّةِ في مُضادتِهم حتّى قَهرُوهُ واستضعفُوهُ، ولم يبقَ لَهُم إلّا أن يقتلُوهُ، وقاربُوا من ذَلِكَ، ولم يَفعلُوا[1]، ويدُلُّ على مَدَى تجرّئِهم على باطلِهم، وتماديْهم في غيِّهم، وقناعتِهم بوجهتِهم.

أثبتُوا شِدّةَ المُعارضةِ، ومدَى التَّجرُّؤِ على فعْلِ ما لا يَنبغِي

نُكتةُ تخفيفِ فعْلِ الشّماتةِ في قوله: ﴿فَلَا تُشْمِتْ﴾:

في إيثارِ هارونَ عليه السلام المُخفَّف مِنَ الفعل ﴿تُشْمِتْ﴾ على المُشدّدِ (لا تُشمِّتْ)، قَصْدٌ إلى تجنيبِهِ عليه السلام أدنى مَقاديرِ الشّماتةِ فضلًا عن أغلظِها وأشدِّها[2].

لم يكنْ موسَى عليه السلام قاصِدًا أدنَى الشّماتةِ في لَوْمِه وغضَبِه

دلالةُ تعديةِ فعْلِ الشّماتةِ بالباءِ، والتَّعْبيرِ بِهِ على طريقِ المَثَلِ:

قولُهُ: ﴿فَلَا تُشْمِتْ﴾، مِنَ الشَّماتةِ؛ وهي: سُرُورُ النّفسِ بما يُصيبُ غيرَها مِنَ الأضرارِ، وإنّما تَحصُلُ هذهِ الحالةُ النَّفسيّةُ مِنَ العَداوةِ والحَسدِ. وفِعلُها قاصرٌ كَفَرِحَ، ومَصدرُهَا مُخالِفٌ لِلقياسِ، ويَتعدَّى الفِعلُ إلى المَفعولِ بالباءِ، يُقالُ: شَمِت به؛ أي: كانَ شامِتًا بِسَببِهِ، وأشمَتَهُ بِهِ جَعَلَهُ شَامِتًا به، وأرادَ بالأعداءِ الّذين دَعَوا إلى عبادةِ العِجلِ؛ لأنّ هَارونَ أنكرَهُ عليهم، فَكَرِهُوهُ لِذلِكَ، ويَجوزُ أن تكونَ شَماتَةُ الأعداءِ كَلِمَةً جَرَت مَجرَى المَثلِ في الشّيءِ الّذي يُلحِقُ بالمَرءِ سُوءًا شَديدًا، سَواءٌ كانَ لِلمرءِ أعداءٌ أو لم يَكونوا، جَريًا على غالبِ العُرفِ[3].

في لفْظِ الشَّماتةِ بيانٌ لِمَا لحِقَ بهارونَ مِن حَرَجٍ وأذاةٍ

بَلاغةُ الكِنايةِ في قولِه: ﴿فَلَا تُشْمِتْ﴾:

قولُهُ: ﴿فَلَا تُشْمِتْ﴾ كنايةٌ عن نهيِ سببُهُ المُؤدِّي إليه، إذِ الظّاهرُ أنَّ مَعنى (لا تُشمت): لا تجعلِ الأعداءَ شُمَّاتًا بي، ولا قدرةَ لنا

في الكِنايةِ طلَبُ الإعراضِ عن عقوبَتِهِ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/161، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/117.
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/410.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/117 - 118.

بالكفِّ عن سببِهِ[1]. والفاءُ للتّفريعِ، وللسّببيّةِ فيما بعدَها، والتّفريعُ فيه تفريعٌ على تَبَيُّنِ عُذرِهِ في إقرارِهِم على ذلك، فَطَلَبَ إلى أخيهِ الكَفَّ عن عقابِهِ الّذي يَشمَتُ بِهِ الأعداءُ لأجلِهِ، ويَجعلُهُ مَعَ عِدادِ الظّالمينَ، فَطَلَبُ ذلك كنايةٌ عن طَلَبِ الإعراضِ عنِ العِقابِ[2]، ولو قِيلَ: معنى (لا تُشمت): لا تفعلْ ما يكونُ سببًا للشّماتةِ مِن غيرِ كنايةٍ؛ لا يبعد[3].

إيثارُ لفظِ ﴿ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾ على غيرِه:

لَفظُ العَداوةِ مُسفرٌ عن سُوءِ العلاقةِ بين المبلِّغِ والمبلَّغِ

وفي إيثارِ لفظِ ﴿ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾ على الاسمِ الصَّريحِ (بني إسرائيلَ)؛ للنَّصِّ على علّةِ النَّهي صراحةً، ولإفادةِ العُمومِ في معنى العَداوةِ أيًّا كانَت[4].

نُكتةُ تَقديمِ فعْلِ النَّهْيِ عنِ الشّماتةِ على فعْلِ التَّركِ:

في الطَّلَبِ مِنَ الأدنَى الخاصِّ إلى العامِّ، تدرُّجٌ وتلطُّفٌ

النّهيُ في ﴿فَلَا تُشۡمِتۡ﴾ و﴿وَلَا تَجۡعَلۡنِي﴾ لِلالتماسِ، وتقديمُ فعلِ تركِ الشَّماتةِ على فِعلِ تركِ الجعلِ مع القومِ الظّالمينَ تدرُّجٌ وتلطُّفٌ في الطّلبِ مِنَ الأدنى الخاصِّ (الشّماتة) إلى العامِّ (الجعل مع الظّالمين): ﴿وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5]. وهو مِن تمامِ أدبِ خطابِ الأنبياءِ عليهم السلام.

وُجوهُ التَّعْبيرِ بالفعْلِ (جَعَلَ):

احتمالُ دَلالةِ الظّنِّ، أو دَلالةِ الفعْلِ الحَقيقيِّ

معنى قوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ لَا تَحسَبنِي واحدًا مِنهُم، فـ (جَعَلَ) بمعنى ظنَّ، كقولِه تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزّخرف: 19]. والقومُ الظّالمونَ هُم الّذينَ أَشرَكُوا باللّهِ عبادَةَ العِجلِ، ويَجوزُ أن يكونَ المعنى: ولا تَجعلني في العُقُوبَةِ

(1) القونويّ، حاشيَته على تفسير البيضاوي: 8/509.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/117.
(3) القونويّ، حاشيَته على تفسير البيضاوي: 8/509.
(4) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/410.
(5) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/410.

مَعَهم؛ لأنَّ مُوسى قَد أمَرَ بقتلِ الّذين عَبَدُوا العِجلَ، فـ(جَعَلَ) على أصلِها[1]، وكأنَّه يقولُ لِمُوسى ﷺ: إنّك إنْ آخذتَني هذه المُؤاخذةَ في حالةِ غضبِكَ، ربَّما ظُنَّ بي أنّني كنتُ معَهُم، أو سلكتُ مَسلَكَهُم في اتّخاذِ العِجل وعبادتِه[2]. وقالَ ابنُ عرفة: "هذا نفيٌ أعمُّ، ولو قالَ: مِنَ القومِ الظّالمين؛ لكان نفيًا أخصّ"[3].

عِلّةُ تعريفِ القومِ ووصْفِهِم بالظّالِمين:

صِفةُ الظّلْمِ ثابتةٌ ودائمةٌ في المَوصُوفِينَ

(أل) في القومِ عهديّةٌ ذهنيّةٌ، ووَصفُهم بالظّالمين عبرَ صيغةِ اسمِ الفاعلِ مَجموعًا جمعَ مُذّكرٍ سالمًا؛ للدّلالةِ على ثبوتِ صفةِ الظّلمِ فيهم، ودوامِها في المَوصُوفِينَ بها، بوصفِ أمرِ الظُّلمِ بمَنزلَةِ الحاصِلِ الثّابتِ المُستقرِّ، وهو أدعى لِتجنُّبِه، واستبعادِ الوقوعِ فيه من مثلِه، ولِزيادةِ استعطافِ مُوسى ﷺ من أنْ يَرتضي لأخيهِ ووزيرِهِ ومُسانِدِهِ هذا المآلَ.

بَلاغةُ كنايةٍ اقترنَ فيها الدّليلُ بالدّعْوَى في السِّياقِ:

تعيينُ الظّالمين منهم دون غيرِهم، وتبشيعُ الظّلْمِ على العُمومِ

وإيثارُ جملةِ ﴿ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فاصلةً للآيةِ المُباركةِ على جملةِ (بني إسرائيلَ) "كنايةٌ اقتَرَنَ فيها الدَّليلُ بالدَّعوى؛ أي: لا تجعلْني في عدادِ الظّالمين الّذين اتّخذوا العِجلَ، ولهذه الكنايةِ نُكتَةٌ أخرى، هي الاحترازُ مِنَ العزلِ عمَّن هو صالحٌ مِن بني إسرائيلَ، وإدخالِ مَن هو ظالمٌ من غيرِ بني إسرائيلَ"[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الرُّجُوعُ والإيابُ:

الرُّجُوعُ: "العَودُ إلَى ما كانَ مِنهُ البدءُ مَكَانًا أَو صفةً أَو حَالًا"[5].

الرُّجُوعُ العَوْدُ إلى ما كان منهُ البَدءُ، والأَوْبُ ضربٌ منه، والرُّجوعُ أَعمُّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/118.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4365.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/257.
(4) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/410.
(5) الرّاغب، المفردات: (رجع)، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 478.

والأوبُ: ضربٌ مِنَ الرُّجوعِ، وذلكَ أنّهُ لا يُقالُ إلّا في الحَيَوانِ الّذي له إرادةٌ، والرُّجُوعُ يُقالُ فيه، وفي غيرِهِ، فالرُّجُوعُ أعمُّ[1]. والإيَابُ: هُو الرُّجُوعُ إلى مُنتَهى المَقصَدِ، والرُّجُوعُ يكونُ لذَلِكَ ولغيرِهِ، أَلَا ترى أنّهُ يُقَالُ: رَجَعَ إلَى بعضِ الطَّرِيقِ، ولَا يُقالُ: آبَ إلى بعضِ الطَّرِيقِ، ولهذا قالَ تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥﴾ [الغاشية: 25]، كَأَنّ القِيَامَةَ مُنتَهى قصدِهِم؛ لأَنّهُم لَا مَنزِلَةَ بعدَهَا. الرُّجُوعُ هو المصيرُ إلى المَوضِعِ الَّذِي قد كانَ فِيهِ قبلُ[2]. ومِن هنا فدلالةُ الرُّجوعِ تناسبُ سياقَ الآيةِ بوصفِ رجوعِ مُوسى ﷺ عودٌ إلى مكانِهِ بعدَ أن غادَرَ قومَهُ لِلمُناجاةِ، وليس رجوعهُ هذا مُنتهَى قصدِهِ ﷺ، فلا يصلحُ أن يُطلَقَ عليه إيابًا.

الأسفُ، والغضبُ، والحزنُ:

الأَسَفُ: الحُزنُ والغَضبُ معًا، وقد يُقالُ لكلٍّ واحدٍ مِنهما على الانفرادِ، فالقَولان مُتقاربان؛ لأنّ الغَضَبَ مِنَ الحُزنِ، والحُزنَ مِنَ الغَضَبِ، فإذا جاءَكَ ما تَكرَهُ مِمَّن هو دُونَكَ؛ غَضِبتَ، وإذا جاءَكَ مِمّن هو فَوقَكَ؛ حَزِنتَ. فَتُسَمَّى إحدى هاتَينِ الحالَتينِ حُزنًا والأخرى غَضَبًا[3]. والأَسَفُ: هو الحُزنُ لفعلٍ يُخالِفُهُ مع عدمِ القُدرةِ على الانتقامِ، والغضبُ: مِمَّن يَقدِرُ عليه[4]. والأَسَفُ: حسرةٌ مَعهَا غَضبٌ أَو غَيظٌ، والآسِفُ: الغضبانُ المُتلَهِّفُ على الشَّيءِ[5]. والفرقُ بينَ اللّفظَينِ ظاهرٌ، واجتماعُهما في سياقٍ واحدٍ بيانٌ لحالِ مُوسى ﷺ باجتماعِ شدّةِ الغضبِ عليه، والحُزنِ، والغيظِ، وقُدرةٍ على المُحاسبةِ، وتلهُّفٍ لها، وصبرٍ وتريّثٍ فيها، وما كان للّفظِ واحدٌ دونَ رسيلتِها مِن أن تُؤدّي هذا المعنى، فضلًا عن دلالةِ صيغتيهما اللّتينِ وُضِّحَتا في الشّرحِ البلاغيِّ.

الـغَـضَـبُ مِـنَ الحُزنِ، والحُزنُ مِـنَ الـغَـضَـبِ، والأَسَـفُ الحُزنُ والغَضبُ معًا

(1) الرّاغب، المفردات: (أوب)، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 208.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 303.
(3) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات: (أسف)، والفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 15/371.
(4) الخفاجيّ، عناية القاضي: 6/75.
(5) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 267.

العَجلةُ والسُّرعةُ:

العَجلةُ التَّقدُّمُ بالشَّيءِ قبلَ وقتِهِ، والسُّرعةُ عملُ الشَّيءِ في أوّلِ أوقاتِهِ

ذكرَ الواحديُّ: أنَّ معنى العَجَلَةِ التَّقدُّمُ بالشَّيءِ قبلَ وقتِهِ؛ ولِذلِكَ صارَت مَذمُومَةً، والسُّرعةُ غير مَذمومةٍ؛ لأنَّ معناها عملُ الشَّيءِ في أوّلِ أوقاتِهِ[1]. فالعَجلةُ: السَّبقُ إلى تحصيلِ الشّيءِ قبلَ وقتِهِ[2]. وكذلك كان أمرُ القومِ بفعلِ ما بدا لَهُم مِن اتّخاذِ العِجل قبلَ أن يَعوا حقيقةَ الإيمانِ والتّوحيدِ، أو ينتظروا عودةَ نبيِّهِم مِن ميقاتِهِ، وقد غادرَهُم لأخذِ الألواحِ الّتي فيها هُداهُم ونَفعُهُم.

(1) الواحديّ، البسيط: 9/368، وابن عادل، اللّباب: 9/323.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عجل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»